آية الزكاة، مقاربة أسلوبية

أ.م.د.محسن محمد يحي العرشاني

أستاذ النحو والصرف واللغة المشارك، جامعة صنعاء

البريد الإلكتروني Email : Abuyahya2011@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الصوت، المقطع، التنغيم، الانزياح، الدلالة، الصدقات.

كيفية اقتباس البحث

العرشاني ، محسن محمد يحي، آية الزكاة، مقاربة أسلوبية، آية الزكاة، مقاربة أسلوبية، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية،٢٠٢٢،المجلد:١٢ ،العدد:١ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The ayah of zakat: A stylistic comparison

Dr. Mohsen Muhammad Yahya Al-Arashani
Associate Professor of Grammar, Morphology and Language, Sana'a University

Keywords : sound, syllable, intonation, displacement, significance, charity.

How To Cite This Article
Al-Arashani, Mohsen Muhammad Yahya, The ayah of zakat: A stylistic comparison, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, Year :2022,Volume:12,Issue 1.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

Phonological studies occupy an essential position in the construction of formulas and their colors, and they enter the stage of linguistic structures, giving them the components of their life, ways of fertilization, functional properties, expressive connotations, and their ability to produce indicative images that enrich the intellectual path and express its paths. study and collection; Touching its verbal arts and linguistic dimensions, this strengthens in the Arabic language the eloquence of the Qur'an, the basis for rulings, the source of legislation, and the realization of its children that the only way to understand its meanings is to delve into the sciences of this language.

Our research was satisfied with studying two phonetic phenomena, namely: vocal formation and syllabic coloring, by applying the short verse of Zakat, by observing the sounds, movements, rhythm and syllables in its words, in addition to its vocal and rhythmic shifts, working to form the artistic image of the Qur'anic sentence. Based on accurate audio and syllabus statistics.

The research included an introduction, two chapters, and a conclusion. The introduction indicated the importance of the research, and the reasons

for choosing it, alluding to the efforts of the former and the latter in the vocal field, and the necessity of presenting its developments to high-end, eloquent, widely spread texts. , and its locational, distributive and tonal proportion, and the detection of the kinetic significance in the shift of the readers from the nominative to the accusative in the word (obligatory), and **in the second topic**, the research sought to reveal the syllabic coloring that penetrated deep into the verse of Zakat, and created an effective and emotionally sound harmony, and gave its realistic coloring and variations to The content of the Quranic scene and its significance.
Conclusion, it reviewed the results of the research, as it reached the complete harmony in the verse of Zakat phonetically and syllabically; With its 22 words, its 73 syllables, and its 112 sounds distributed between its consonantal, structural and syntactic vowels.

ملخص البحث:

تتبوأ الدراسات الصوتية منزلةً أساسيةً، في بناء الصيغ وتلوُّناتها، وهي تدخل مسرح التراكيب اللغوية، فتمنحها مقومات حياتها، وسبل إخصابها، وخواصِّها الوظيفية، ودلالاتِها التعبيرية، وقدرتها على إنتاج صور دلالية تثري المسار الفكري، وتعبِّر عن مساراته، فأصبحت اللغة مقصد البلغاء، ورغبة اللغويين، دراسة وتحصيلاً؛ متلمسين فنونها القولية، وأبعادها اللغوية، يعزِّز ذلك في اللغة العربية بلاغة القرآن، مناطُ الأحكام، وإدراك أبنائه أن السبيل الأوحد لإدراك معانيه، هو التبحر في علوم هذه اللغة.

واكتفى بحثنا بدراسة ظاهرتين من الظواهر الصوتية المتعددة، هما: التشكيل الصوتي، والتلوين المقطعي، بالتطبيق على آية الزكاة القصيرة، برصد ما في كلماتها من أصواتٍ وحركاتٍ وإيقاعٍ ومقاطع، إضافةً إلى ما يعتورها من انزياحات صوتية وإيقاعية، تعمل على تشكيل الصورة الفنية للجملة القرآنية، معتمداً على الإحصاء الصوتي والمقطعي الدقيق.

وقد اشتمل البحث على، مقدمةٍ، ومبحثين، وخاتمة؛ فالمقدمة أشارت إلى أهمية البحث، وأسباب اختياره، ملمحةً إلى جهود السابقين واللاحقين في الميدان الصوتي، وضرورة عرض مستجداته على النصوص الراقية فصاحةً، الواسعة انتشاراً، أما المبحث الأول فانطلق لإزاحة الستار عن التلوينات الصوتية في آية الزكاة، والكشف عن قيمتها الدلالية والانزياحية، وإيحاءاتها الجمالية، وتناسبها الموقعي والتوزيعي والتنغيمي، والربط بين علم الأصوات وعلم القراءات في كشف الدلالة الحركية لانزياح القراء من الرفع إلى النصب في كلمة (فريضةً)، وفي المبحث الثاني سعى البحث للكشف عن التلوين المقطعي الذي توغل في عمق آية الزكاة، وأحدث تآلفاً صوتياً انفعالياً مؤثراً، وأضفى الواقعية بتلويناته وتنويعاته على مضمون المشهد القرآني ودلالته،

أما الخاتمة فاستعرضت نتائج البحث، حيث توصل إلى الانسجام التام في آية الزكاة صوتياً ومقطعياً؛ بكلماتها الـ(٢٢)، ومقاطعها الـ(٧٣)، وأصواتها الـ(١١٢) الموزعة بين صوامتها وصوائتها البنائية والإعرابية.

مقدمة البحث:

يتفق الدارسون على حضور الدراسات الصوتية عند أعلام اللغة العربية القدماء؛ تأسيساً على يد الخليل وسيبويه، وتأصيلاً على يد ابن جني، وصولاً إلى علم اللغة الحديث الذي تجاوز تلك الدراسات النظرية القديمة، بعد أن شهد ميدان البحث فيه استحداث آلات كثيرة، وتقنيات متطورة، تهدف إلى البحث التطبيقي والميداني بطرق علمية دقيقة، وتربطه بمختلف العلوم الإنسانية والطبيعية.

وميدان علم الأصوات هو دراسة الأصوات اللغوية من ناحية طبيعتها الصوتية المنفردة، ووظيفتها متشكِّلةً في الأبنية والتراكيب، تحت ما يعرف بعلم "وظائف الصوت اللغوي في الكلام" عن طريق الأداء الصوتي، والتشكيل المقطعي، وما ينتج عن ذلك من نبر وتنغيم، وكل العناصر التي تشارك في الدلالة وتؤثر في المتلقي؛ ولهذا فإنّ البحث بدقة في أي مستوى من مستويات اللغة الصرفية والنحوية والدلالية، لا يتم إلا بمراعاة الجانب الصوتي، فدراسة بنية الكلمة صرفياً لا يتم دون معرفة الأصوات وتناسقها، والدراسة التركيبية لا تكتمل دون الاعتماد على التكوين الصوتي للكلمات داخل الجمل وخارجها، وأبعادها الصوتية، ثمّ إن الكثير من المعاني النحوية تقوم على أسس صوتية معينة؛ كالتغيرات التي تصيب أواخر الكلمات (تغير الحركة الإعرابية).

ولم يغفل البحث الانزياح الصوتي، وهو "انحرافٌ عن النظام الصوتي المعياري، في ما يسمى بدرجة الصفر الصوتية، وخرقها؛ لتصبح الوظيفة الجمالية هي المهيمنة"[١]، فالانزياح يؤثر على المعنى الدلالي، ويخيم على الجو الخطابي، ويثير موسيقى خاصة في النص، ويكون فصلاً قاطعاً بين الوحدات الصوتية؛ لأن لكل صوت خصائصه، فإذا استبدل مكانه بحرف آخر انزاح بعد هذا الاستبدال.

أسباب اختيار البحث: آثرت المستوى الصوتي في آية الزكاة؛ للأسباب التالية:

١.لعدم إدراك الكثيرين أهمية علم الأصوات، وأنه الخطوة الأولى لدراسة المستويات اللغوية الأخرى.

٢.لأن الدراسات الصوتية في التلوين الصوتي والمقطعي لم تحظ بالتطبيق الكافي.

٣.وقع اختيارنا التطبيقي على آية الزكاة؛ لأنها إحدى آيات التشريع الإبداعية الراقية؛ المؤسِّسة لمبدأ التكافل الاجتماعي، فكانت دافعاً قوياً للباحث في عرض المستجدات الصوتية على هذا

النصِّ المتفاعل، لاستنطاق تلويناته الصوتية والمقطعية، وإبراز أثر الموسيقى والنغم في شدِّ المتلقي، وجعله أكثر انتباهاً، وأشد إصغاءً، متتبعاً مسارات الخطاب في قضية الصدقات، وطريقة توزيعها، وتنوعاته الانزياحية والتحويلية والدلالية المدهشة؛ لتوظيف كل صوت، ووضعه في المكان المناسب.

بين يدي الآية: آية الزكاة من الآيات المكية القصيرة، وهي الآية الستون من سورة التوبة،{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)} [التوبة:٦٠] وتبين بعد الإحصاء التحليلي المرتكز على الأصوات المنطوقة، أن الآية اشتملت على (٢٢) كلمة فقط، و(١١٢) صوتاً، توزعت أصواتها على (٧٩) صامتاً، و(٨٥) صائتاً متحركاً، و(٧٣) مقطعاً، راسمةً علاجاً لمعضلة اجتماعية واقتصادية؛ بانسجامٍ لغوي، وإيقاعٍ موسيقيٍّ جذّاب، فكأنّ من يسمعها يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى الساحرة.

المبحث الأول

التلوين الصوتي في آية الزكاة

يُعَدُّ علم الأصوات التشكيلي اليوم من أبرز الدراسات الصوتية؛ إذ يتناول الأصوات، وهي متشكِّلة في كلمات منطوقة، تشكل بدورها جملاً وتراكيب، وصولاً إلى "الدلالة الصوتية"[٢] القائمة على الخاصية الصوتية، وبهذا يتقاسم الدرس اللغوي القديم والحديث؛ أهمية توظيف كلَّ ما يمتلكه الصوت اللغوي من قدرات تصويرية وتنغيمية، وذلك لبلوغ أعمق مواطن التأثير في المتلقِّي؛ لأن جودة النص، تتأثر بعوامل القوة والضعف الصوتي، ويظهر هذا الأثر جلياً في ثلاثة جوانب رئيسة، وهي: الجانب النطقي(سهولةً وصعوبةً)، والجانب السمعي (وضوحاً وغموضاً)، والجانب الموسيقي (جمالاً ورداءة).

جدول (١) يرصد إحصائية الأصوات الصامتة في آية الزكاة

الأصوت الأكثر وروداً في الآية			الأصوات الأقل وروداً في الآية		
ل	20	22%	ف	2	2%
ن	9	10%	ص	2	2%
الواو غير المدية	8	9%	د	1	1%
م	7	8%	غ	1	1%
ب	5	6%	ك	1	1%
ق	4	5%	هـ	1	1%

س	4	5%	ض	1	1%
ر	4	5%	مجموع الصوامت:٧٩		
ت	3	4%			
ع	3	4%			
الهمزة	3	4%			

أولاً: الانزياح الاستهلالي بـ(إنّما)؛ وأثر الهمزة والنون والميم:

إنّ الجملة النواة المنزاح عنها في الآية الكريمة، هي: (الصدقات فريضةٌ للفقراء...إلخ)، وهي جملة توليدية محايدة، أما الجملة المنزاح إليها، فهي: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ...} [التوبة: ٦٠]؛ حيث أدخل السياق القرآني عليها عنصراً تحويلياً هو (إنّما)؛ لينقلها من التوليدية إلى التحويلية، ومن الحياد إلى الأسلوبية؛ لغرض دلالي تشريعي:

البنية العميقة التوليدية ← الصدقات للفقراء والمساكين....إلخ.

البنية السطحية التحويلية← {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ..إلخ} عنصر التحويل بالزيادة.

ونستشف أن الخطاب القرآني لم يكتفِ بـ(إنّ) وحدها أيضاً، التي تفيد التوكيد؛ فيقول:(إنّ الصدقات للفقراء...)؛ بل انزاح إلى (إنّما)؛ لأنها تشمل التوكيد والقصر والحصر والتعيين، ويسميها النحاة(كافّة ومكفوفة)، وتتكون (إنّما) من ثلاثة أصوات أساسية منطوقة، هي: (إ+ن+م)؛ لأن الألف تحذف عند الوصل نطقاً، فنقول:(إنّمصّدقات)، وسيكون لنا وقفة مع الهمزة والنون والميم، على النحو التالي:

١ـ الهمزة: إن للهمزة دوراً كبيراً في استفتاح الآية، وتهيئة جو الخطاب التشريعي؛ فالافتتاح بالهمزة ونبرتها الجرسية الهادرة، وكسرتها القصيرة المقتضبة، مع الصوتين الرنانين، وهما: النون المشددة، والميم الشفوية؛ وأداة الحصر والقصر والتوكيد (إنّما)؛ يمثل عاملاً قوياً في تنبيه المخاطبين إلى الإصغاء للقرار الحاسم في مسألة توزيع الزكاة، وقصرها على الأصناف الثمانية، وإلغاء أي دور بشري حتى للرسول في الاجتهاد التوزيعي الترتيبي للزكاة.

والهمزة صوت (جرْسي)[٣] كما يطلق عليه قديماً؛ فاستهلت به الآية؛ ليكون أول صوت يقرع أذن المخاطب: "وقد سميت الهمزة بذلك؛ لأن الصوت يعلو بها عند النطق، ولذلك استثقلت في الكلام، والجرس في اللغة: الصوت، وكل الحروف يصوَّت بها عند النطق؛ لكن الهمزة لها مزية زائدة في ذلك"[٤]، ثم إن الهمزة صوتٌ انفجاريٌّ مفاجئ؛ لأن الآية تعالج حكماً تشريعياً بارزاً، وتحلُّ معضلة اجتماعية مؤرقة؛ فاستهلالها بصوت مفاجئ، متميز الوضوح، مثير الأسماع،

مقصدي الدلالة؛ غرضه مفاجأة المنافقين الهمازين اللمازين؛ وتنشيط ذهن المخاطب، وتحريك مشاعره، وإيقاظ أفكاره؛ ليتلقى مضامين حكم تشريعي مهم، تفرد المولى بتحديد أصنافه وترتيبها، وفي كل هذا تستشعر عظمة الآية، وتحس إيقاعها على الأذن والعقل والقلب بثقل الاستهلال بـ(الهمزة) هذا الصوت الصامت على اللسان، "ومما يؤكد لنا قدرة هذا الصامت السمعية والنطقية والذهنية على تهيئة المخاطب أنّ واحدةً وأربعين سورة من مائة وأربع عشرة في القرآن بدأت بهذا الصامت الهمزي".[٥]

٢. الميم والنون: ويطلق على النون والميم وصف المائع؛ لأنهما ينضمان إلى القائمة الرباعية لما يسمى بالأصوات المائعة، وهي:(ل+ن+م+ر)، التي جمعها اللغويون، وعلماء الأصوات، في حزمة صوتية واحدة، وأطلقوا عليها الأصوات المائعة الرنانة[٦]، كما أطلقوا عليها أشباه الحركات؛ لأنها قريبة من الحركات من حيث الوضوح الصوتي والجهر، ويميل بعضهم إلى تسميتها أشباه أصوات اللين؛ لأنها أصوات ذات وضوح سمعي عال، وتكاد تشبه أصوات اللين في هذه الصفة، ومن الممكن أن تُعَدَّ حلقة وسطى بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين؛ ففيها من صفات الأولى أنّ مجرى النفس معها يعترضه بعض الحوائل، وفيها أيضاً من أصوات اللين؛ أنها لا يكاد يسمع لها أي نوع من الحفيف[٧]، وكانت هذه الأصوات الأكثر حضوراً في آية الزكاة، فاللام احتلت النصيب الأعلى بتكرار(٢٠) وبمعدل ٢٢%، يليها النون بتكرار (٩) مرات منطوقة، وبمعدل ١٠%، ثم الميم بتكرار (٧) مرات، وبمعدل ٨%.

فصوت النون يتصف بأنه: "صوت أنفي مائع مجهور أغن، ذو وضوح سمعي"[٨]، وصوت الميم الشفوي يشترك مع النون فيما سبق، علاوةً على أنهما: "أطول صوامت العربية، من حيث المدة الزمنية التي يستغرقها كل منهما في النطق"[٩]، ولعلّ من المفيد أن نشير إلى أواصر القربى بين صوتي الغنة (النون والميم)، واختيار الاستهلال بهما مع (إنما)، وفق تتابعٍ صوتيٍّ منظم؛ يمنح السياق الصوتي خاصية إيقاعية موسيقية ذات طاقة تأثيرية على المتلقي، وقوة إسماعية عالية؛ ترتاح إليها الأذن، وتساعد على اختيار التعبيرات الانفعالية التي تؤدي وظيفتها الصوتية، فيضفي على الصوتين التقارب ملمح صفة الجهر في كليهما؛ وهذه ميزة تقاربية تتناسب مع استهلال الآية؛ للفت الانتباه للتشريعات القادمة، كما أن الصدى النفسي لهذين الحرفين له وقعه ودويه في النفس البشرية، ولهذا كانا من الأصوات الحاضرة بقوة على مستوى القرآن كله؛ لأنهما يتصفان بالغنة، والغنة تزيد من الإثارة النطقية، والتنبيه والتدبر فيما يعرضه الله في قرآنه.

وفي (إنّما) الحصرية تنغيمٌ بالغ، فهمزتها الجرسية، ونونها الرنينية المشددة، وميمها المفتوحة الشفوية، أصوات تؤدي دورها في تحفيز المتلقي وتنبيهه؛ لما تحدثه من تلوين إيقاعيّ؛ بارتفاع درجة الصوت، وصعوده درجةً درجة مع النون المشددة، ثم الميم الشفوية، ثم مع الصاد بإدغام الكلمتين نطقاً (إنّمصّدقات)، وبوضوح سمعي عالٍ؛ وباهتزاز الوترين الصوتيين، مدركين موقع هذه الآية في سياق الاعتراض بين آية:{ومنهمْ من يلمزُك في الصدقات} [التوبة: ٥٨]، وآية: {ومنهم الذين يؤذون النبي} [التوبة: ٦١]، قال ابن عاشور:" هو استطراد نشأ عند ذكر لمز المنافقين للنبي في الصدقات، أدمج فيه تبيين مصارف الصدقات"[١٠]، وفي كل ما سبق في (إنّما) من لفتات لغوية، تنبيهٌ لفريقين:

أولاً: لولاة الأمر: فقد حدد الله تصريف الزكاة بنفسه، وحصرها في أصنافٍ مسجلة، وهذا يؤكد أن المسألة ليست متروكة لاختيار أحد، ولا حتى اختيار الرسول، فـ{إِنَّمَا الصدقات} وضحت أنه يُرَادُ بها الحصر والقصر، في هؤلاء ولا تتعداهم؛ لأنك إن قلتَ «إنما الرجل زيد، أي: أنك قصرت الرجولة على زيد، والمقصود من أداة الحصر أيضاً: أن ليس شيء من الصدقات يستحقها المنافقون الذين لَمَزوا في الصدقات، مستعملاً القصر الإضافي أي الصدقات لهؤلاء، لا لكم .

ثانياً: لمستحقي الزكاة: فقد أراد الله أن يبين مصارف الزكاة؛ حتى يعرف هؤلاء هذه المصارف، ويتعرفوا إلى حقيقة الأمر، وليتبينوا هم يستحقون الزكاة أم لا؟.

ثانياً: الانزياح اللفظي من (الزكاة) إلى (الصدقات)، وخصوصية الـ(ص، د، ق) في ذلك:

لقد انزاحَ سياق الآية عن لفظ (الزكاة) المخصوص بالفرض، إلى اللفظ العام (الصدقات)؛ لأسباب صوتية ودلالية؛ فعند التأمل نرى أن الأصوات الأساسية للفظ "الصدقات" هي (الصاد، والدال، والقاف)، وهي أقوى من نظيراتها الصوتية (الزاي، والكاف، والألف) في لفظ "الزكاة"، فالصاد أقوى صفيراً من الزاي، ثم إنها حرف استعلاء، والزاي حرف استفال، وهذا فارق قوي لصالح الصاد، أما القاف فهي بلا شك أقوى من نظيرتها الكاف؛ لما تحمله من صفات القلقلة والاستعلاء، وتخلو الكاف من هاتين الصفتين، أما صوت الدال فهو صوت قوي مقلقل شديد يدخل في الكلمات القوية، وهذا ميزة خاصة ترفع لفظ (الصدقات)، وتمنحه خصوصية الانزياح والتفرد؛ لأن الصوت جزء من بنية الكلمة، واختلاف صوتٍ واحدٍ في كلمتين متشابهتين يؤثر في اختلاف الدلالة، قال أهل اللغة: "أصل الصدقة "ص د ق" على هذا الترتيب موضوع للصحة والكمال، ومنه قولهم: رجل صِدْق النظر، وصدق اللقاء...والصديق يسمى صديقاً لصدقه في المودة، والصداق سمي صداقاً؛ لأن عقد النكاح به يتم ويكمل، وسمى الله تعالى الزكاة صدقة؛

لأن المال بها يصح ويكمل، فهي سببٌ؛ إما لكمال المال وبقائه، وإما؛ لأنه يستدل بها على صدق العبد في إيمانه وكماله فيه"[١١]، ويتفق علماء العربية على أثر الحرف (الصوت) في دلالة الكلمة لما يؤديه من فروق دلالية بين الكلمات، وسنقف مع كل صوت منها:

١ـ الصاد: الصاد هو الصوت المتفرد الذي يرد في آية الزكاة في موضع واحد، وفي كلمة محورية أساسية هي (الصدقات)، وهو صوت مطبق صفيري احتكاكي مهموس[١٢]، وحضور صوت الصاد مرة واحدة في لفظة واحدة، هي اللفظة المحورية(الصدقات)؛ وتفرده أيضاً مع أركان الإسلام العملية الكبرى، وهي:(الصلاة، والصيام، والصدقات)؛ بصفيره وإطباقه جامعاً بين قوة الاستعلاء وظهور الرنينية؛ يصبح مؤشراً صوتياً على دلالة كلمة (الصدقات) وخصوصيتها، ومحوريتها، واستعلائها، واعتبارها محور الارتكاز وأساس التشريع في الآية، وما بعدها أحكام تفصيلية.

٢. الدال: صوتٌ أسناني لثوي انفجاري مجهور، وهذا الصوت المدوي شدةً وجهارةً، له وضعٌ خاصٌّ مع تشريع مهم كالزكاة، فهو من الأصوات القوية في اللغة، ومجيء صوت الدال في كلمة (الصدقات) أحدث لها دوياً صوتياً عالياً عزز من دلالتها؛ لأن "صوت الدال يجسّد العزم والقوة والحزم"[١٣]، فهو صوت انفجاري شديد، ناسب المعاني المتوخاة منه في القرارات الحاسمة والمواقف الفاصلة، فارتفاع الصوت يزيد اللفظ دلالةً وتأكيداً، مثلما كان له وضعه الخاص في كافة نهايات آية سورة الإخلاص؛ ليقرر هناك وحدانية الله، ويرد على المشركين رداً مدوياً حاسماً في تشكيكهم في وحدانية الله، وفي هذه الآية يرد على لمز وغمز المنافقين رداً مزلزلاً مدوياً، حيث يتولى بنفسه التوزيع الزكوي، وحصر أصنافها.

٣ـ ونصل إلى القاف: وهو صوت له وقعه وحضوره، فهو صوت انفجاري مهموس، كما أنه صوت لهوي مفخم[١٤]، ولا يخفى ما فيه من الخصوصية الدلالية، والمنطق القوي الذي يفرضه ضمن لفظ (الصدقات)، فللقاق جرسها الذي أوصل ابن سينا إلى القول: "إنها تسمعُ من شق الأجسام وقلعها"[١٥]، ولهذا الصوت مكانته في القرآن الكريم، فقد أفرد الله له اسم سورة كاملة هي سورة (ق)، ولقوة هذا الحرف افتتحت به سورة الإخلاص لإعلان وحدانية الله، وتلمح في القاف هنا مؤشراً إلى أهمية ما سيقال، وأن مسألة توزيع الزكاة، قد حسم، وتمّ إشهار ذلك للناس وتقريره.

ونخلص إلى أن السياق القرآني انزاح عن لفظ "الزكاة" إلى لفظ "الصدقات"؛ لأن أصواتها أقوى تأثيراً وأشد وقعاً؛ ولأن الصدقة هي العنوان الأعم؛ لأنها تطلق على الفرض والنفل، والزكاة جزءٌ من الصدقة؛ وأحداث الكون كلها تدل على صدق وصف الله للزكاة بأنها صدقة؛ لأنها تأتي

تطوعاً من غير المؤمن، ويحس الغني بالسعادة فطرياً، وهو يعطي الفقير؛ ليخفف الله من الشقاء في الكون.

ثالثاً: حضور اللام المكثف، وخصوصيته:

تُحدثُ اللام تأثيراً موسيقياً عالياً، فقد تجلَّى لنا من إحصاء أصوات الآية أن (اللام) هو الصوت المسيطر والأكثر تكراراً؛ فقد تكرر (٢٠) مرة بمعدل ٢٢%، وكان تكراره متنوعاً بين التفخيم والترقيق، كما جاء اللام مدغماً مفخماً في ثلاثة مواضع، منها موضعان مع لفظ الجلالة (من الله، والله)؛ وموضع في (المؤلّفة)، وكل ذلك التفخيم؛ يعكس معنى التخصيص والتعظيم والتفرد الذي تم اكتسابه من لفظي الجلالة، وقبلهما من لفظ (الصدقات) بصاده المفخم، ولأن المعنى "علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول، تمكن كل واحد منهما من استدعاء الآخر"[١٦]، وإذا ما علمنا أن الآية خالصة في الصدقات، وأن صوت اللام المتكرر (٢٠) مرة، من الأصوات الجانبية المنحرفة، ويمثل نوعاً من الهدوء يناسب المشهد الموحي بالعبادة[١٧]، كونه من الحروف الاحتكاكية الرخوة[١٨]، يعزز ذلك تكراره، ورنينيته، وتفخيمه، مع ما يعكسه لفظ (الصدقات)؛ بحضوره الدلالي في ذهن المتلقي من بداية الآية إلى نهايتها، محدثاً بذلك شكلاً من أشكال الانزياح الصوتي المؤكِّد لمضمونها، فكأنّ صوت اللام يتعاضد مع بؤرة الآية (الصدقات)، ومقصدها التوزيعي، وخاصيتها الانحرافية؛ ليحذر من الانحراف في توزيع الصدقات المحسوم، ويؤكد على الاهتمام بتنفيذ الحصر والتوزيع، واعتبار ذلك فرضاً مؤكداً على المسلمين.

رابعاً: الاقتصاد اللغوي بالإدغام في كلمات الآية المحورية(الله، الصَّدقات، الرِّقاب):

لعلّ المتأمل في آية الزكاة يستطيع أن يصف الآية بكثرة وجود الإدغام فيها، لبروز الإدغام بأنواعه، لكثرة همزات الوصل فيها كإدغام المتقاربين في في الوحدات اللغوية التي تحتوي على (الأصوات الشمسية) بعد أل التعريف، مثل: (إنّمصّدقات، وفرِّقاب، ولفظ الجلالة)، وإدغام المتماثلين في تضعيف النون في (إنّما)، والصاد في (الصّدقات)، واللام في (المؤلّفة)، وفي لفظ الجلالة المتكرر ثلاث مرات، وإدغام المتجانسين في "فريضةً من"، وهذه الظاهرة تحدث في الأفعال والأسماء والحروف على حدٍ سواء.

جدول (٢) يرصد بعض التبدلات الصوتية في آية الزكاة.

التبدلات الصوتية	القلب	المد		الإدغام		
		طبيعي	زائد	بالتماثل	بالتجانس	بالتقارب
الأمثلة	قلب التنوين نوناً (عليمٌ حكيم)	كل كلمة فيها ألف	للفقرآء	إنما، الصّدقات، المؤلّفة، اللّه	فريضةً من	إنّما الصدقات، في الرّقاب، ابن السبيل،

		أوياء أو واو مديات				في سبيل الله، من الله، والله

وإذا كان الإدغام في الصوتيات ليس سوى تقلصٍ صوتي، أو اقتصاد في الجهد العضلي، باختصار حرفين في حرف واحد، فإن مهامه هي البحث في تأثر الأصوات بعضها ببعض، وضبط القوانين التي تضمن تحقيق المسار الغرضي للإدغام، وهو: أولاً: إشاعة الانسجام بين الأصوات المنطوقة، وثانياً: تيسير عملية الإجراء النطقي _كما يرى اللغويون _ فاللسان يعلوه الثقل، وهو يرتفع ويعود في اللحظة ذاتها؛ ليرتفع مرة ثانية، بغية تحقيق إنتاجية الصوتين، أما الغرض الثالث؛ فإن في الإدغام طلبٌ للخفة الإعرابية التي تتمثل في حذف الحركة الإعرابية من آخر الكلمات المدغمة، وفي هذا إراحة للنفس من عناء الثقل المصاحب لحركة اللسان صعوداً وهبوطاً، وسنقف مع الكلمات المحورية التي فيها إدغام:

(١) الإدغام في لفظ الجلالة: فخمت اللام مع لفظ الجلالة في موضعين مهمين من الآية هما(من الله+ والله)، ورققت في موضع ثالث (سبيل الله)، وإذا وقعت اللام في لفظ الجلالة، وسبقت بفتح أو ضم؛ فإنها تفخم، يقول مكي: "وليس في كلام العرب لام أظهر تفخيماً وأشد تعظيماً من اللام في اسم الله جل ذكره؛ لأنهما لامان مفخمان، لإرادة التعظيم والإجلال.."[١٩]، واختلف اللغويون في أصل كلمة (الله) إلى أقوال متعددة، وفي جميع الأحوال يقع إدغام اللامين[٢٠]؛ لأن تشديد اللام في لفظ الجلالة للإدغام.

(٢) الصَّدقات: تبدل اللام صاداً قبل أن تدغم في الصاد، فيجتمع حرفان متماثلان(الصاد والصاد) الأولى ساكنة والثانية متحركة؛ فيتحقق شرط الإدغام، فتدغم الصاد في الصاد، والذي سوغ هذا الإدغام تقارب اللام والصاد في المخرج، فالصاد صوت أسناني لثوي احتكاكي مهموس مضخم، ينطق بأن يوضع طرف اللسان في اتجاه الأسنان ومقدمته في اتجاه اللثة، بحيث يسمح بمرور الهواء بينهما محدثاً احتكاكاً، وتضيق المسافة بين الوترين الصوتيين ضيقاً يسمح بمرور الهواء، ولا يتذبذب الوتران الصوتيان، ويخرج الصوت مهموساً، ويرتفع مؤخرة اللسان نحو الطبق وتتسع غرفة الرنين؛ فيخرج صوتاً مفخماً، ويرتفع الطبق نحو الجدار الخلفي للحلق.[٢١]

(٣) الرِّقاب: قبل أن تدغم اللام في الراء تقلب راء أولاً، قال الاستراباذي: "لا يمكن إدغام المتقاربين إلا بعد جعلهما متماثلين؛ لأن الإدغام إخراج الحرفين من مخرج واحد دفعة واحدة باعتماد تام، ولا يمكن إخرج المتقاربين من مخرج واحد؛ لأن لكل حرف مخرجاً على حدة، والذي أرى أنه ليس الإدغام الإتيان بحرفين؛ بل هو الإتيان بحرف واحد مع اعتماد قوي على مخرجه".[٢٢]

ونفهم من كلام الاستراباذي أن إدغام المتقاربين لا بدّ أن يخضع لعملية إبدال قبل أن يحدث الإدغام، حتى يتفق مع الحرف المدغم فيه، فهو يمر بمرحلة التماثل بين الحرفين حتى يستطيع أن يخرج الحرفين من مخرج واحد؛ فيجتمع حرفان متماثلان؛ الأول ساكن والثاني متحرك، وسبب سكون الأول إبداله من لام التعريف، ولام التعريف كما هو معروف ساكنة؛ فيتحقق شرط الإدغام، فيدغم الراءين، والذي سوغ هذا الإدغام اتحاد اللام والراء في المحرج والصفة، فاللام :"صوت جانبي مجهور ينطق بأن يتصل طرف السان باللثة، ويرتفع الطبق فيسد المجرى الأنفي عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي في الحلق، هذا مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية"[٢٣]، وأما الراء "فإنها صوت تكراري مجهور يتم نطقه بأن يترك اللسان مسترخياً في طريق الهواء الخارج من الرئتين، فيرفرف اللسان، ويضرب طرفه في اللثة ضربات متكررة وهذا معنى وصف الراء بأنه صوت تكراري، هذا بالإضافة إلى حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية عند نطق هذا الصوت".[٢٤]

ونخلص إلى أن التنغيم الإدغامي عنصر من عناصر تحديد المعنى في الآية، وقد قام بأداء وظيفة نطقية تتصل في المقام الأول بالنظام الصوتي في الآية، كما حدث مع الكلمات المحورية في الآية، وهي: المشرِّع ،وهو (الله) لفظ الجلالة، الوسيلة التشريعية، وهي (الصدقات)، ثم لفظ (الرقاب) المنزاح إليه عند توزيع الأصناف بـ"في" بخلاف الأربعة الأصناف الأولي بـ"اللام"؛ لأن الرقاب والأصناف التي تليه أشد استحقاقاً؛ وقيل؛ لأن الزكاة توضع فيهم وليس لهم ملكاً، فاستحقت النبر الإدغامي للفت الانتباه، هذا على مستوى الحدث الكلامي، ناهيك عن دلالة الصيغة الصرفية.

خامساً: الانزياح إلى الأصوات المجهورة:

والجهر أحد صفات الأصوات الضدية؛ والصفة هي الحلية والنعت[٢٥]، واصطلاحاً هي: كيفية خروج الحرف من الناحية الصوتية، كالجهر والهمس وغيرهما، [٢٦]ومن العوامل التي يتوقف عليها تميز الصوت اللغوي عن غيره إيجاباً أو سلباً، الجهد الذي يبذله الجهاز النطقي لإنتاجه؛ فيتأثر الصوت الأقل جهداً بالأفضلية، ويتوقف هذا الجهد على الجهر والهمس من جهة، والانفجار والاحتكاك من جهة أخرى، ويقرر علماء الأصوات، أن الأصوات المهموسة والاحتكاكية والمفخمة تحتاج عادة إلى جهد عضلي أقوى من الذي يستدعيه نظيراتها المجهورة والانفجارية والمرققة .[٢٧]

جدول (٣) يرصد إحصائية صفات الأصوات في آية الزكاة

الصفات	الضدية	الأحادية

عدد الحروف من **112**	جهر	همس	شدة	رخاوة	تفخيم	ترقيق	المائعة	انحراف	تكرار	غنة	صفير
	82	23	15	47	20	80	35	19	4	11	6
النسبة	90%	25%	15%	53%	20%	80%	36%	19%	5%	12%	7%

من الجدول السابق يظهر أن الأصوات المجهورة في آية الزكاة؛ قد استحوذت على النصيب الأكبر بعدد (٨٢) صوتاً، ونسبة تفوق على ٩٠%، وفي الجهر إيحاء دلالي بأهمية الجهر بمصارف الزكاة، وتحديدهم صنفاً صنفاً حسب الأهمية على الأرجح، وإعلان أحكامها التوزيعية، وعلى المسلمين الإذعان، فالانتشار المكثف للأصوات المجهورة له مايبرره، إذ يتساوق مع موضوع الآية، الذي يتطلب أصواتاً جهيرة؛ تتناسب ومسألة الجهر بالفريضة التوزيعية للصدقات التي تقتضي المجاهرة، وعلو النبرة، وحروف الجهر في العربية، هي الحروف الهجائية عدا حروف الهمس، وعددها (٢٢) مع اللام بنوعيها المرققة والمفخمة، أما حروف الهمس؛ فيجمعونها في قولهم: فحثه شخص سكت + ط، ق، وعددها (١٢) فقط، أما (الهمزة فلا مجهور ولامهموس) .[٢٨]

سادساً: حركات الآية الإعرابية، والبنائية، ودلالتها:

الحركة تُعَدُّ جزءاً من الوحدات الصوتية التي تشارك في الدلالة؛ سواء كانت حركة بناءٍ قصيرة أو طويلة مصاحبة لأصوات الكلمة، أوحركة إعرابٍ تقع على أواخر الكلمات؛ لأنها تعرب عن وظيفة الكلمة في التركيب، فالفتح أو الضم أو الكسر، يحدد ملامح الكلمة، ويبرز صورتها النطقية، وتسمية الحركات فيه شيء من خصائصها، فإذا أخضعناها للتجريب والتذوُّق الفعلي، معتمدين على وضع الشفاه من فتح وكسر وضم، فسنجد تلقائياً أن الحركة عكس السكون؛ "لأنها تقلق الحرف الذي تقترن به، وتجذبه نحو الحرف الذي هو منه؛ فالفتحة تجذب الحرف نحو الألف، والكسرة نحو الياء، والضمة نحو الواو"[٢٩]، وقد اختيرت كلمات آية الزكاة اختياراً دقيقاً؛ ليشاطر بناؤها الحركي، حالتها التعبيرية، على النحو التالي:

(١) إحصاء حركات (صوائت) الآية:

جدول (٣) يرصد إحصائية الأصوات الصائتة (الحركات) في آية الزكاة.

نوع الحركة	الحركة القصيرة البنائية			الحركة الطويلة المدِّية			الحركات الإعرابية
	الفتحة	الكسرة	الضمة	الألف	الياء	الواو	الفتحة(٣). الكسرة(٩). الضمة (٣)
العدد	**36**	**25**	**3**	**10**	**10**	**1**	

مجموع الحركات:٨٥
الفتحة القصيرة والطويلة: (٤٦) بنسبة٥١%، منها ثلاث حركات إعرابية.
الكسرة القصيرة والطويلة: (٣٥) بنسبة٤٢%، منها تسع حركات إعرابية.
الضمة القصيرة والطويلة: (٤) بنسبة ٧%، منها ثلاث حركات إعرابية.
تنبيه: الحركات الإعرابية تمَّ احتسابها تكرارها ضمن الحركات البنائية

ومن خلال الجدول الإحصائي السابق؛ نجد أن مجموع حركات (صوائت) آية الزكاة(٨٥) صائتاً، في كلمات الآية التي تتجاوز العشرين قليلاً، موزعة بين الحركات القصيرة والطويلة والإعرابية، ونلمح اكتساحاً واضحاً للفتحة، يليها بفارق ضئيل الكسرة، أخيراً الضمة؛ التي وردت علامةً إعرابية؛ لكلمتين محوريتين رئيستين، هما: الصدقاتُ+لفظ الجلالة، وكان موقعها في الحالتين مبتدأ، وهذا يحمل دلالة مهمة . كما سيأتي . بالإضافة إلى قراءة الرفع في (فريضة).

وعليه؛ فقد جاءت حركات الآية، على الترتيب التالي:

الفتحة ينوعيها (٤٦)← 51% الكسرة بنوعيها (٣٥← 42%(الضمة بنوعيها.7% (4)

(٢) الدلالات الإيحائية لحركات الآية:

أ . الفتحة: تحمل الإحصائية السابقة دلالات عجيبة، وإيحاءات فريدة، فقد فاقت الفتحة على نظيراتها؛ لتمنح الآية سلاسة؛ لأنها أسهل الحركات وأوضحها نطقاً، حيث يحرك الإنسان لسانه إلى الأسفل قدر المستطاع، ويسحبه الى الخلف قدر الإمكان، ويبسط شفتيه من غير تدوير[٣٠]، وتتميز أيضاً أنها صائت أمامي (من الحركات الأمامية)، وقد حازت الفتحة؛ لتميزها بهذه الصفات بحصة الأسد في البناء الصوتي للآية، واتسمت بكثرة ورودها فيها؛ حيث وردت بمعدل (٤٦) مرةً من (٨٥) بنسبة ٥١%.

إن الفتحة هي أول الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها ثم الضمة، فعند النطق بالفتحة تمر بمخرج الياء والواو؛ لأنهما في طريقها فجاز الإشمام، ولو احتجت أن تُشِمَّ الكسرة أو الضمة رائحة الفتحة؛ لتكلفت الرجوع إلى أول الحلق، فيكون في ذلك انتقاض عادة الصوت، بتراجعه إلى الوراء"[٣١]، ويذهب برجشتراسر إلى القول بأن الحركات في الأصل اثنتان لا ثلاث؛ حركة كاملة، وهي الفتحة، وحركة ناقصة تشبه الكسرة أحياناً، والضمة أحياناً أخرى[٣٢]، علاوةً على أن الضمة أثقل الحركات؛ لاحتياجها إلى تحريك عضلتين بخلاف الكسرة، فإنها لا تحتاج إلا إلى تحريك عضلة واحدة.[٣٣]

وأخيراً فمن المتعارف عليه في علم الأصوات هو ضعف الفتحة أمام الضمة والكسرة؛ لكنها هنا تميزت بمشاركة الألف الطويلة لها في أكثرية ألفاظ الآية الأساسية (الصدقات، الفقراء، المساكين، العاملين عليها، الرقاب، الله "٣مرات")، وما تحمله من إيحاءات؛ الأمر الذي أوصلها إلى المخاطب في سرعة واضحة؛ وكأنّ الفتحة تفتح باباً من الأمل الاقتصادي، والتفاؤل المالي؛ لأصناف مسحوقةٍ في المجتمع، وهذه هي الغاية من آية الزكاة؛ لأن الزكاة فرضت؛ لتحل معضلة اجتماعية معقدة، وتحقق التوازن الاقتصادي في المجتمع.

ب . الكسرة: أما الكسرة فجاءت بمعدل (٣٥) مرة، بنسبة ٤٢%، وهي نسبة نوعية؛ لأن الكسرة كانت علامة إعرابية للأصناف الثمانية التي استهدفتهم آية الزكاة، تارة بـ(اللام) مع الأربعة الأصناف الأولى {لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ}، وتارةً بـ(في) مع الأربعة الأصناف الأخيرة {وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ}؛ فناسبت الكسرة ؛ لأنها تخاطب المنكسرين نفسياً ومالياً من الفقراء، وإخوانهم من بقية الأصناف؛ فتَجْبر انكسارهم، وتُطيِّبُ خواطرهم، وترفع شأنهم، وتؤسس لهم حقاً؛ ليس لبشرٍ فيه فضل ولا منّة، ولكن لماذا المخالفة بين حروف الجر، حيث عبر القرآن الكريم مع الأصناف الأربعة الأولى (باللام) المِلْكية، ومع الأصناف الأربعة الأخيرة انزاح التعبير إلى (في) الظرفية؟! _ هذا ما سنفصل جوابه في المبحث الثاني _؛ لأن حديثنا هنا عن الحركات؛ ولكن لا بأس بإشارة سريعة للسبب؛ فنقول؛ لأن الأربعة الأولين جعلت الصدقات لهم مباشرة؛ فعبر عنهم باللام الملكية، والأربعة المتبقية، جعلت الصدقات فيهم عن طريق أوليائهم؛ فعبر عنهم بـ"في" الوعائية.

ج . الضمة: أما الضمة علامة الرفع؛ ففي منطق اللغة، والواقع هي الأقوى، وصاحبها هو الإيجابي الذي يُحدثُ الفعل، وهي أثقل الحركات نطقاً، ولهذا جاءت في باب النحو مع الفاعل والمبتدأ أهم عمدتي النحو العربي، فلماذا كانت قليلة هنا؟ نقول؛ لأن مقام التوزيع الثُماني لمصارف الزكاة؛ بحاجة إلى جهة عليا قوية تحسم التوزيع، وتتخذ قراراً فاصلاً، فمن سيتولى ذلك؟ إنه (اللهُ) عز وجل الكريم المتعال من فوق سبع سموات، الذي سيتولى التوزيع بنفسه، عبر وسيلة تكون تشريعاً وفرضاً ملزماً، وهي "الزكاة" التي أطلق عليها هنا لفظ "الصدقات"، وهذا الطريق الزكوي (الصدقات)؛ سيرفع حالهم، ويلم شعثهم، ويضم شتاتهم، ويجبر خاطرهم، ويفرض التوزيع عليهم حصراً وقصراً وتأكيداً، ولهذا فالمرفوعات هي:

(اللهُ) صاحب الأمر ← (الصدقاتُ) الوسيلة المفروضة

ولهذا ناسب الرفعُ هاتين الكلمتين المحوريتين (الصدقاتُ) في مستهلِّ الآية، ولفظ الجلالة (الله) في ختامها؛ لارتفاع قدرهما بحل معضلة اقتصادية اجتماعية مهمة، وكانتا مرفوعتين، الأولى:

{إنما الصدقاتُ} في موضع رفع بالابتداء، والثانية: {واللهُ عليمٌ} في موضع رفع بالابتداء الاستئنافي أيضاً، إذن مجئ الضمة في هذه الكلمات المحورية؛ يعود الى ما تحمله هذه الحركة من دلالة ذاتية توافق عظمة صفات الله التي تتنزه عن النقص، وعظمة الفريضة، فمن دلالات الضمة العظمة والقوة.

سابعاً: انزياح القراءة في الحركة الإعرابية من الرفع إلى النصب في (فريضةً):

كان الانزياح من الرفع إلى النصب في قراءة (فريضةً) بارزاً؛ لإظهار الترابط بين علم الأصوات وعلم القراءات؛ فعند اطلاعنا على القراءات القرآنية، وجدنا أن في كلمة (فريضة) قراءتين؛ قراءة بالرفع، وقراءة بالنصب، على النحو التالي:

جدول (٤) يرصد القراءات القرآنية في آية الزكاة.

النص القرآني	أوجه القراءة	القارئ	كيفية القراءة
فريضةً	فريضةٌ	إبراهيم بن أبي عيلة	بالرفع
	فريضةً	الجمهور	النصب

إنّ قراءة الرفع لـ(فريضةٌ) مجملةٌ على أنها خبر لمبتدإٍ محذوف عند النحاة، وهي قراءة إبراهيم بن أبي عيلة[٣٤]، و(فريضة) فعيلة بمعنى مفروضة، وإنما دخلتها التاء وحقها أن يستوي فيها المذكر والمؤنث لجريانها مجرى الأسماء كالنطيحة، و(اللهُ) مبتدأ وعليم خبر أول وحكيم خبر ثان.[٣٥]

أما قراءة الجمهور لـ(فريضةً) فكانت بنصبها؛ وهي محمولة على أنها منصوبةٌ على المصدر العامل فيه معنى الصدقات، فكأنّ التقدير: فرض الله ذلك فريضةً، أو على الحال من الفقراء، ومن بعدهم؛ أي إنما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة، أو على القطع، وهو قول الفراء[٣٦]، على أن فيها انزياحاً من الرفع إلى النصب؛ في كل الأحوال.

والظاهر أنه يمكن أن تكون (فريضةً) خبراً للمبتدأ (الصدقاتُ)، وتصبح (للفقراء) في موضع نصب على الحال؛ لأن صفة النكرة إذا قدمت عليها أُعربت حالاً، والمعنى: إنما الصدقات فريضةٌ من الله لأجل الفقراء والمساكين، وعليه فإنّ الأصل الرفع في قراءة ابن أبي عيلة، أما قراءة غيره بالنصبِ فمحمولةٌ على الانزياح من الرفع إلى النصب؛ لتوكيد هذه اللفظة بجذب الانتباه إليها، "فالأصل هو الرفع؛ لأن الزيادة لا يصار إليها في الغالب، ولأن الجملة الاسمية أكثر ثباتاً، ولذلك فإن فيما مر انزياحاً من الرفع إلى النصب؛ لتحقيق توكيد الكلمة موضع الانزياح، وجذب الانتباه إلى التفكر فيها ودلالتها".[٣٧]

ولعل ما يعزز ذلك أن الفراء حمل قراءة النصب على القطع الإعرابي؛ لتحقيق المدح، كما أن مجئ الفتحة فيه نوع من المماثلة الصوتية؛ ليضفي على الصيغة مزيداً من السهولة والتيسير؛ إذ تسعى اللغة نحو انسجام الأصوات؛ فإن فتح التاء المربوطة مع فتح الضاد قبلها (فريضَةً) يجعل اللسان يعمل في طريق منسجم، وفي اتجاه واحد، بالإضافة إلى أن في الفتح فتح عظيم لهؤلاء المنكسرين، وبهذا يتبين أن الإعراب سمة من سمات العربية تعرف به، ويعد جزءاً من بنيتها الصوتية، ويشارك في معانيها ودلالاتها.

المبحث الثاني

التلوين المقطعي في آية الزكاة

التلوين المقطعي أحدث تآلفاً صوتياً مؤثراً توغل في عمق آية الزكاة، وأضفى الواقعية على مضامينها من خلال ربط الصوت بالموضوع ، وتحفيز المخاطب على تركيز ذهنه، وتفعيل قدراته.

والمقطع وحدة صوتية مركبة تتكون من صوت صامت ومتحرك، وصائت مفتوح أو مغلق، وطويل أو قصير، وللمقطع تعريفات أخرى، متعددة منها: تتابع من الأصوات الكلامية، له حد أعلى أو قمة إسماع طبيعية، أو هو قطاع من تيار الكلام يحوي صوتاً مقطعياً ذا حجم أعظم، أو أنه أصغر وحدة في تركيب الكلمة.[٣٨]، علاوةً على امتناع الابتداء بساكن، وعموماً فالمقاطع الصوتية في العربية خمسة:

(ص ح)/ (ص ح ص) / (ص ح ح) / (ص ح ح ص) / (ص ح ص ص) .[٣٩]

والمقاطع الثلاثة الأولى هي الأكثر شيوعاً في الكلام العربي، أما الرابع والخامس، فقليلا الشيوع، وأسماؤها بالترتيب (المقطع القصير+المتوسط المغلق+المتوسط المفتوح+الظويل المغلق+الطويل المفتوح).

أولاً: إحصائية مقاطع آية الزكاة:

جدول (٥) يرصد إحصائية مقاطع الآية.

كلمات الآية	ع	تقطيعها	رمز المقطع	نوع المقطع
إنما الصدقات	1	إنْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	2	نَـ	ص ح	مقطع قصير
	3	مصْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	4	صَ	ص ح	مقطع قصير
	5	دَ	ص ح	مقطع قصير
	6	قا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح

	7	تُ	ص ح	مقطع قصير
للفقراء	8	للْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	9	فُ	ص ح	مقطع قصير
	10	قَ	ص ح	مقطع قصير
	11	را	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	12	ءِ	ص ح	مقطع قصير
والمساكين	13	ولْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	14	مَ	ص ح	مقطع قصير
	15	سا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	16	كِي	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	17	نِ	ص ح	مقطع قصير
والعاملين عليها	18	ولْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	19	عا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	20	مِ	ص ح	مقطع قصير
	21	لِي	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	22	نَ	ص ح	مقطع قصير
	23	عَ	ص ح	مقطع قصير
	24	لِيْ	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	25	ها	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
والمؤلفة قلوبهم	26	ولْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	27	مُ	ص ح	مقطع قصير
	28	ءلْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	29	لَ	ص ح	مقطع قصير
	30	فَ	ص ح	مقطع قصير
	31	تِ	ص ح	مقطع قصير
	32	قُ	ص ح	مقطع قصير
	33	لو	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	34	بُ	ص ح	مقطع قصير
	35	هم	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
وفي الرقاب	36	وَ	ص ح	مقطع قصير
	37	فرْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	38	رِ	ص ح	مقطع قصير

	39	قا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	40	بِ	ص ح	مقطع قصير
والغارمين	41	ولْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	42	غا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	43	رِ	ص ح	مقطع قصير
	44	ميْ	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	45	نَ	ص ح	مقطع قصير
وفي سبيل الله	46	وَ	ص ح	مقطع قصير
	47	فيْ	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	48	سَ	ص ح	مقطع قصير
	49	بيْ	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	50	للْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	51	لا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	52	هِ	ص ح	مقطع قصير
وابن السبيل	53	وَبْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	54	نسْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	55	سَ	ص ح	مقطع قصير
	56	بيْ	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	57	لِ	ص ح	مقطع قصير
فريضة من الله	58	فَ	ص ح	مقطع قصير
	59	ريْ	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	60	ضـ	ص ح	مقطع قصير
	61	تنْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	62	مِ	ص ح	مقطع قصير
	63	نلْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	64	لا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	65	هِ	ص ح	مقطع قصير
والله عليمٌ حكيم	66	ولْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	67	لا	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح
	68	هُ	ص ح	مقطع قصير
	69	عَ	ص ح	مقطع قصير
	70	ليْ	ص ح ح	مقطع متوسط مفتوح

	71	منْ	ص ح ص	مقطع متوسط مغلق
	72	حَ	ص ح	مقطع قصير
	73	كيم	ص ح ح ص	مقطع طويل مغلق
المجموع				**73**

من الجدول السابق نستنتج أن عدد التجمعات المقطعية في الآية (٧٣) مقطعاً صوتياً، نستعرض دلالاتها وإيحاءاتها النوعية فيما سيأتي.

ثانياً: جماليات التحولات المقطعية من القصير إلى المتوسط إلى الطويل:

مما يلفت النظر أن عدد المقاطع في الآية (٤) بترتيبٍ تصاعدي في حركته، متدرجةً من الأكثر رشاقة وخفة إلى الأقل: ص ح(٣٤) ← ص ح ص(٢١)← ص ح ح (١٧) ← ص ح ص (١)

جدول (٥) يرصد إحصائية المقاطع النوعية في الآية

المقطع	رمزه	عدده	النسبة
المقطع القصير	ص ح	34	49,64%
المقطع المتوسط المغلق	ص ح ص	21	30,66%
المقطع المتوسط المفتوح	ص ح ح	17	24,82%
المقطع الطويل المغلق	ص ح ح ص	1	1,46%
المقطع الطويل المزدوج	ص ح ص ص	0	.
المجموع: ٧٣			

لقد ولَّدت الآية إيقاعاً مقطعياً عدداً وترتيباً، أدى هذا الإيقاع التراتبي وظائف جمالية متعددة، وصنع جواً من التأمل الروحي في موضوع الصدقات، فالمقطع القصير في اللغة العربية يُعَدُّ أكثر المقاطع انتشاراً، يليه المقطع المتوسط المغلق والمفتوح، ثم الطويل، إلا أن القصير قد يتحول إلى متوسط وطويل والعكس، وهذه التحولات المقطعية هي انعكاس لفروق لغوية دقيقة في المعنى، على النحو التالي:

١. الانزياح العددي إلى المقطع القصير: معلوم أن زيادة عدد المقاطع لمقطع معين يؤدي إلى زيادة في المعنى، مثل المقطع القصير (ص ح)، ففي الآية نجد الانزياح جلياً عن المقاطع

الطويلة والمتوسطة، إلى المقطع القصير، حيث كان المقطع القصير (ص ح) الأول في تجمعاته مسيطراً على آية الزكاة، حيث بلغ (٣٤) مقطعاً، بنسبة تفوق الـ٤٩%؛ والسبب يعود إلى أن تلك الحركة الانزياحية المقطعية القصيرة تناسب آيات التشريع؛ التي تتطلب مقطعاً قصيراً مفتوحاً رشيقاً خفيفاً؛ ليخفف مشقة الحكم، ويهيئ النفوس لتقبله؛ ومن ناحية أخرى يزيل السأم والملل عن القارئ والمستمع، ويخفف من حدة الطول بقصر المقطع، وبالتالي لا يشعر المسلم بطول التكليف ومشقته.

٢. حركة الانسجام بين المقطع القصير والمتوسط المغلق: المقطع القصير (ص ح) احتل المرتبة الأولى بعدد (٣٤) مقطعاً كما ذكرنا آنفاً، وهذا المقطع يلائم جو التشريع في خفته، ثم جاء في الترتيب العددي المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) وبلغت تكراراته (٢١) مقطعاً، وهذا المقطع في خصائصه وسماته الصوتية يناسب حالة الحزم والصرامة والجدية في التحذير من عدم تنفيذ هذا التشريع العبادي المهم، فحدث تآلف وانسجام بين المقطعين أحدث إيقاعاً موسيقياً متناسباً، لا يجد فيه القارئ أو السامع نشازاً أو إخلالاً يقع على الأذن، وهذه الدقة البالغة لا يمكن أن ترى إلا في كلام الله.

٣_ المقطع المتوسط المفتوح، وأثره على المتلقي: لقد جاء في الترتيب العددي الثالث المقطع المتوسط المفتوح بعدد (١٧) مقطعاً، بمعدل (٢٤.٨٢%)؛ لأن المقاطع المفتوحة هي الأكثر مرونة وسهولة وجرياناً مع النفس، وتحقق الانسجام الصوتي مع المشهد، وسماه بعضهم طويلاً لإطلاق النفس عند نطقه، ويتحقق هذا المقطع في أصوات المد(الألف، والواو والياء)؛ لأنها أوضح في السمع، وأكثر في النفس من الأصوات الساكنة، وهذا يؤثر على المتلقي، ويمنح الآية تنغيماً موسيقياً مفتوحاً، ولهذا جاء هذا المقطع في كلمات الآية المحورية، وهي(الصدقات، الله، فريضة)، ثم مع كل أصناف التوزيع الثمانية، وهي(الفقراء، المساكين، العاملون عليها، المؤلفة قلوبهم، الغارمين، سبيل الله، ابن السبيل)، فكلها تشتمل على مقطع طويل (ص ح ح) للتأثير على المتلقين.

ثالثاً: الأبعاد المقطعية والدلالية في المغايرة بين حروف الجر:

إن الانزياح في المخالفة بين حرفي الجر(اللام) و(في) في الآية، قادنا إلى انزياحات مقطعية دلالية، مع أن الآية الكريمة تتحدث عن الأصناف الثمانية التي تعطى لهم الزكاة:

البنية العميقة ← لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وللرقاب والغارمين، ولسبيل الله، وابن السبيل..

البنية السطحية ← لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل..

فما السر في هذه المغايرة؟، ولماذا خصَّ السياق القرآني الأصناف الأربعة الأولى في استحقاقهم للصدقة بـ"اللام"، التي هي في الأصل للتمليك، فقال: {..لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ}، ثم انزاح عن لام التمليك، إلى حرف الجر "في" للتعبير عن الأربعة الأصناف الأخيرة، و"في" تدل على الظرفية الوعائية، فقال: {وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ}، وهنا ينشأ سؤال لماذا لم يطرد السياق فيكون:"للفقراء والمساكين وللرقاب والغارمين"، وما الحكمة في ذلك؟

إن في المخالفة بين حروف الجر (انزياح) سر يخفى على المتأمل السطحي، قلّ من يتفطن إليه:

(لِ) مقطعه قصير ← يتحول مع الأصناف الأولى إلى مقطع متوسط مغلق لِلْ (ص ح ص).

(في) مقطعه متوسط مفتوح ← تحول مع {الرقاب} في الأصناف الأخيرة إلى مقطع مغلق فِرْ (ص ح ص) ← ثم يتحول إلى مقطع مفتوح (ص ح ح) مع مصرف في سبيل الله.

وقد تنبه لذلك الزمخشري والنسفي والرازي، وأحمد بن المنير في حاشيته على الكشاف، أما التوجيه الذي أشار إليه الزمخشري، فنلخصه فيما يلي: "إنما عدل عن (اللام) إلى (في) في الثلاثة الأخيرة للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم ممن سبق؛ لأن «في» للوعاء، فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات كما يوضع الشيء في الوعاء، ... وذلك لما في فك الرقاب وفي الغرم من التخليص والإنقاذ، وتكرير «في» في قوله «وفي سبيل الله» دليل على ترجيحه على الرقاب وعلى الغارمين، وسياق الكلام أن يقال: وفي الرقاب والغارمين وسبيل الله وابن السبيل، فلما جيء بـ«في» مرة ثانيةً، وفصل بها بين الغارمين وبين سبيل الله، عُلِمَ أنّ سبيل الله أوكد في استحقاق النفقة فيه".[٤٠]

ويتفق النسفي مع الزمخشري فيما سبق، مضيفاً في تفسير الخازن: "...فلا بد لهذا الفرق من فائدة، وهي أن الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها يدفع إليهم نصيبهم من الصدقات، فيصرفون ذلك فيما شاؤوا، وأما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع إليهم ولا يمكنون من التصرف فيه، وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة ويصرف نصيبهم فيما يحتاجون إليه في الغزو وكذا ابن السبيل فيصرف إليه ما يحتاج إليه في سفره إلى بلوغ غرضه"، ويضيف النسفي: "جاء الأربعة الأولى بـ (لام) الملك؛

للإشعار بإطلاق الملك، والأربعة الأخيرة بـ(في) الظرفية؛ لتقييد الملك، حتى إذا لم يحصل الصرف في مصارفها استرجع بخلافه في الأولى".[٤١]

أما الرازي؛ فيقول: "والحاصل: أن الأصناف الأربعة الأولى يصرف المال إليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤوا، وفي الأربعة الأخيرة لا يصرف المال إليهم مباشرة، بل يصرف إلى جهات الحاجات المعتبرة في الصفات التي لأجلها استحقوا الزكاة .[٤٢]

ويعقب أحمد بن المنير في حاشيته على الكشاف، تعقيباً رائعاً، منبهاً على سرٍّ آخر، فيقول: "وثَمَّ سر آخر هو أظهر وأقرب، وذلك أن الأصناف الأربعة الأوائل، مُلّاك لما عساه يُدفع إليهم، فكان دخول اللام (المِلْكِيّة) لائقاً بهم، وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم، بل ولا يصرف إليهم، ولكن في مصالح تتعلق بهم فالمال الذي يصرف (في الرقاب) إنما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون، فليس نصيبهم مصروفاً إلى أيديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم، وإنما هم محالّ لهذا الصرف، والمصلحة المتعلقة به، وكذلك (العاملون) إنما يصرف نصيبهم لأرباب ديونهم تخليصا لذممهم لا لهم، وأما (سبيل الله) فواضح فيه ذلك، وأما (ابن السبيل) فكأنه كان مندرجاً في سبيل الله وإنما أفرد بالذكر تنبيهاً على خصوصيته، مع أنه مجرد من الحرفين جميعاً، وعطفه على المجرور باللام ممكن، ولكنه على القريب منه أقرب" .[٤٣]

وكل المعاني التي ذهب إليها الزمخشري والنسفي والرازي وابن المنير يتسع لها النص القرآني، فإن الانزياح عن "اللام"؛ الذي انتج مقطعاً مغلقاً "لِلـ" (ص ح ص)، إلى "في" الذي حدثت له تحولات مقطعية فقد تحول إلى مقطع مغلق مع "الرقاب"، "وفِرْ" (ص ح ص)، ثم تحول عند تكراره إلى مقطع مفتوح مع الأشد استحقاقاً، مصرف(وفي سبيل الله) (ص ح ح) وفي كل ذلك تنبيه للمتلقي تنبيهاً صياغياً محسوساً، إلى أن الأصناف الأربعة الأواخر "الرقاب، والغارمون، وسبيل الله، وابن السبيل" أشد استحقاقاً للتصدق عليهم من الأصناف الأربعة الأول "الفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم"؛ لأن هؤلاء يأخذون تلك الصدقات على سبيل التمليك، بدلالة حرف الجر اللام، والمقطع المغلق (ص ح ص) الذي يغلق الصدقة عليهم مباشرة إلى أيديهم دون واسطة، لكن الأصناف الأخيرة؛ لا يملكونها بشكل مباشر؛ وإنما تُصرف عليهم في مصالحهم، وتدبير شؤونهم، بدلالة حرف الوعاء والظرفية "في"، التي يدل عليها المقطع المفتوح أيضاً، وكأن التعبير القرآني يشير إلى أن تصرف فيهم، وما هو في مصلحتهم.

وهكذا أسهمت المفارقة الصياغية في انتقالها من المقطع المغلق بحرفه الجارِّ "اللام"، إلى المقطع المفتوح بحرفه الجارِّ "في" في تجسيم وتجسيد المفارقة المعنوية بين تلك الأصناف المستحقة للصدقات.

رابعاً، وأخيراً: دلالة المقطع المغلق استهلالاً وختاماً:

ومما يلفت الانتباه أن الآية قد ابتدأت بالمقطع المتوسط المغلق (إنْ) (ص ح ص) ، وانتهت مقطعٍ أطول منه إغلاقاً(كيم) (ص ح ح ص)، وكأنها بهذا الإغلاق المحكم تشكل سوراً منيعاً وسياجاً حصيناً، حصرت فيه الأصناف حصراً وقصراً مؤكداً مرجعه إلى الله جل جلاله دون شريك..

وبوجهٍ عام؛ فإن الآية قد بنيت على المقطع القصير(ص ح)، ثم المتوسط المغلق الذي جاء في المرتبة الثانية بين المقاطع، فجاء بعدد (٢١) مقطعاً من (٧٣)، والأهم من ذلك أن هذا المقطع قد تم اختياره لاستهلال الآية، ثم ختمها، ولا يمكن أن تكون قد جاءت صدفة بل جاءت عن قصد من حكيمٍ متعالٍ، وإننا حيال ذلك لنشعر بشيء غير بشري في هذا المقاطع المغلقة، ومواضعها المحكمة، وكأنها جاءت في موضع لا يمكن استبداله بغيره من المقاطع، فالصدقات والمواريث والغنائم تولى الله توزيعها، واختص بتحديد أصنافها؛ فإغلاق المقطع دلالة على القطع والجزم والتوحد والاختصاص، والمقطع المغلق خير وسيلة صوتية؛ ليؤكد للمخاطب خصوصية الغني عمن سواه من البشر، بما يعجز عنه أي أديب أو شاعر، إلى جانب الدلالة المعجمية والتفسيرية والتركيبية للآية.

وبعد هذه السياحة الممتعة في دلائل هذه الآية الصوتية والمقطعية، فقد كان ختامها مسكاً باسمين من أسماء الله الحسنى (عليم حكيم)، حيث تقدمت صفة العليم على الحكيم، وذلك لمناسبة السياق، أي والله عليم حكيم، في قصر الصدقات على هؤلاء، أيْ أنّه صادر عن العليم الذي يعلم ما يناسب في الأحكام، والحكيم الذي أحكم الأشياء التي خلقها أو شرعها، فقد ناسب تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة، لأن الحكمة إنما هي من آثار العلم وناشئة عنه؛ ولذلك أكثر ما جاء في القرآن تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة، وهذا التقديم أمر يحتمه المعنى، ويتطلبه الموضوع، وتقتضيه الحكمة، إذ إنّ من مقتضيات الحكمة أن يسبقها العلم، كما أن في تعقيب العليم بالحكيم، إتباع الوصف بأخص منه؛ لأن مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم؛ لأن الحكمة كمال في العلم، كقولهم: خطيب مصقع. وشاعر مفلق .[٤٤]

وللعلم فقد وردت صفتا (العليم الحكيم) في (٣٥) موضعاً في القرآن، منها (٧) مواضع فقط تقدم فيها الحكيم على العليم، وبقية المواضع تقدم فيها العليم على الحكيم، منه (٦) مواضع في

سورة التوبة، والنساء (٨) مواضع، ، ويوسف (٣) مواضع، وفي موضع واحد لكل من: البقرة والأنفال والحج والممتحنة والأحزاب والحجرات والإنسان والفتح.

خاتمة البحث:

آية الزكاة من الآيات المكية القصيرة، اشتملت على (٢٢) كلمة، و(١١٢) صوتاً، توزعت أصواتها على (٧٩) صامتاً، و(٨٥) صائتاً متحركاً، و(٧٣) مقطعاً، وكان لصوت (اللام) حضورها المكثف، بنسبة (٢٢%)، يليه النون، ثم الواو والميم، وخلص البحث إلى النتائج التالية:

أولاً: أهم النتائج في الجانب الصوتي:

١. الانزياح الاستهلالي بـ(إنّما)؛ بهمزتها النبرية الجرسية الهادرة، وكسرتها القصيرة المقتضبة، مع الصوتين الرنانين، وهما(النون والميم)؛ لتهيئة جو الخطاب الحصري لأصناف توزيع الزكاة.

٢. الانزياح السياقي عن لفظ (الزكاة) المخصوص بالفرض، إلى اللفظ العام (الصدقات)؛ لأن أصواتها الجذرية (ص، د، ق)؛ أقوى تأثيراً، وأشد وقعاً، من جذور أصوات الزكاة (ز، ك، الألف).

٣. حضور اللام المكثف في الآية(٢٠) مرة بمعدل ٢٢%، أحدث تأثيراً موسيقياً عالياً، فهو من الأصوات الجانبية المنحرفة، ويمثل نوعاً من الهدوء يناسب المشهد الروحي.

٤.الانزياح إلى الأصوات المجهورة؛ له مايبرره، إذ يتساوق مع موضوع الآية، الذي يتطلب أصواتاً جهيرة تتناسب ومسألة الجهر بالفريضة التوزيعية.

٥. حركات الآية الإعرابية، والبنائية،الـ(٨٥) حركة، توضح اكتساح الفتحة، لتمنح الآية سلاسة؛ لأنها أسهل الحركات وأوضحها نطقاً، يليها الكسرة بفارق ضئيل، وأخيراً الضمة.

٦. انزياح القراء في الحركة الإعرابية من الرفع إلى النصب لـ(فريضةً)؛ لتوكيد الكلمة موضع الانزياح، وإضفاء السهولة والانسجام الصوتي على الآية، وتأكيد العلاقة بين علمي الأصوات القراءات.

ثانياً: أهم النتائج في الجانب المقطعي: ولّدت الآية إيقاعاً مقطعياً توزيعياً، إدّى وظائف جمالية متعددة، وصنع جواً من التأمل الروحي في موضوع "الصدقات"، على النحو التالي:

1. جماليات التحولات المقطعية التدرجية في الآية من القصير(٣٤)، إلى المتوسط (٢١)، إلى المتوسط المفتوح(١٧)، إلى المقطع الطويل(١)؛ بترتيبٍ متدرجٍ من الأكثر رشاقة وخفة إلى الأقل.

٢. يُعدُّ المقطع القصير في الآية الأكثر حضوراً بعدد (٣٤) مقطعاً؛ لأن الحركة الانزياحية المقطعية القصيرة تناسب آيات التشريع؛ يليه المقطع المتوسط المغلق والمفتوح، ثم الطويل.

٣. إن الانزياح في المخالفة بين حرفي الجر(اللام) و(في) في الآية، قادنا إلى انزياحات مقطعية دلالية، حيث أسهمت المفارقة الصياغية في تجسيد المفارقة المعنوية بين تلك الأصناف المستحقة للصدقات.

٤. الانزياح المقطعي المغلق لاستهلال الآية وختامها يلفت الانتباه، أن الآية بهذا الإغلاق المحكم تشكل سوراً منيعاً وسياجاً حصيناً، لا يمكن لبشر أياً كان اختراقه.

الهوامش:

[١]. الإيقاع في شعر الحداثة، الاسكندرية، سلمان محمد علوان، العامرية، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٢٨٤.٢٩٥.

[٢] . دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية: ط٤: ١٩٦٣: ٢٥٩.

[٣]. المعجم الوسيط، أنيس إبراهيم وآخرون، مادة (ج، ر، س)

[٤] . الرعاية لتجويد القرآن، مكي بن أبي طالب، ت: أحمد فرحان، دار عمار، عمان، الأردن، ط٢، ١٩٨٤، ص١٣٣.

[٥]. التحليل الصوتي وتطبيقه، مهدي عناد، رسالة ماجستير، فلسطين،٢٠١١م، ص١٠٥.

[٦] . الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلوالمصرية، إبراهيم أنيس، ، القاهرة، ١٩٨٤م، ط٥، ص٢١٨.

[٧] . المرجع نفسه ص٢٧.

[٨] . فصول في علم الأصوات، محمد جواد النوري، ب. نشر، ١٩٩١م ط١، ص٢٤٢، وسرصناعة الإعراب، ابن جني، ج٢، دمشق، دار القلم، ١٩٩٣م، ط٢، ص٤٣٥.

[٩] . الإيقاع في القرآن، عبدالله محمد الشمايلة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٩م، ص٧٨.

[١٠] . التحرير والتنوير ، ابن عاشور ١٠ / ٢٣٦.

[١١] . لسان العرب، مادة صدق.

[١٢] . الرعاية لتجويد القراءة، مرجع سابق ص١٨٠.

[١٣]. الانفعالية الابلاغية في البيان العربي، عصام السيوفي، بيروت (د.ت)، دار الحداثة، ص٣٣١.

[١٤] . الرعاية لتجويد القراءة، مرجع سابق ص١٠٧.

[١٥] . رسالة أسباب حدوث الحرف، ابن سينا، ت:محمد الطيان، ط٣، دمشق، ١٩٨٣.ص٩٣.

[١٦] . دور الكلمة في اللغة، أولمان ستيفن، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، ص ٦٥.

[١٧] . الايقاع أنماطه ودلالاته، عبد الواحد زياد، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٩٩٥م.، ص١٢٠.

[١٨] . الرعاية لتجويد القراءة، مرجع سابق ص١٠٧.

[١٩] . الرعاية لتجويد القرآن، مرجع سابق ص٢٥٨.

[٢٠] . الدر المصون، السمين الحلبي ٢٤/١.

[٢١] . علم الأصوات، حسام البهنساوي، متبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤، ص٧٠.

[٢٢] . شرح شافية ابن الحاجب، الاستراباذي ٢٣٥/٣.

[٢٣] . المدخل إلى علم اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٩٩٧م، ص٤٧.

[٢٤] . المرجع السابق ص٤٨.

[٢٥] . ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مج١٥، ص٣١٥، مادة (و ص ف)

[٢٦] . ينظر: مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٠م، ص٥٧.

[٢٧] . علم اللغة مقدمة للقارئ، محمود السعران، ص١٥٢.

[٢٨] . ينظر: دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص٣٢٤.

[٢٩] . الكتاب، سيبويه ٢٤٢/٤، وسر صناعة الإعراب٢٧.٢٦/١

[٣٠] . مبادئ في اللسانيات، خولة الإبراهيمي، ص ٨٩.

[٣١] . الدراسات الصوتية عند علماء العربية ص١٤٨.

[٣٢] . التطور النحوي، برجشتراسر، علق عليه: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٢، ص ٥٥.٥٤.

[٣٣] . الخصائص، ابن جني، تجقيق محمد على النحار، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ص ١٣٧٨

[٣٤] . انظر: الدر المصون، مرجع سابق٧٢/٦، البحر المحيط، أبوحيان النحوي٦١/٥.

[٣٥] . إعراب القرآن وبيانه ٤ / ١١٨.

[٣٦] . انظر: معاني القرآن، الفراء ٤٤٤/٢.

[٣٧] . انظر: انزياح اللسان العربي، عبدالفتاح الحموز، دار عمار، عمان، الأردن، ٢٠٠٨م، ص ٢٢٢.

[٣٨] . دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ١٩٩١م، ص٢٨٢.

[٣٩] . وترمز (ص) للصوت أي الحروف كلها باستثناء العلة، و(ح) حركة الصوت أو الحرف القصيرة: الفتحة أو الضمة أو الكسرة، و(ح ح) الحركة الطويلة التي تتمثل بأحرف العلة: الالف والواو والياء..

[٤٠] . الكشاف، الزمخشري٢٧٠/٢.

[٤١] . تفسير الخازن، علاء الدين الخازن، ط١، ١٣٧٤ هـ، مطبعة الاستقامة، القاهرة٢/ ٢٣٦.

[٤٢] . تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، المطبعة المصرية سنة ١٩٣٨ م، ١١٢/١٦.

[٤٣] . الكشاف(حاشية ابن المنير)، ت:عبدالرزاق عبدالمهدي، إحياء التراث، بيروت، ط٢،١/٢٧٠.

[٤٤] ـ إعجاز القرآن الكريم، عباس فضل حسن، دار الفرقان، القاهرة، ٢٠٠٦م، ط٦، ص ٢٠٩، و التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٠٢/١.

المراجع باللغة العربية:

١.الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، ١٩٨٤م، ط٥.

٢.إعجاز القرآن الكريم، عباس فضل حسن، دار الفرقان، القاهرة، ٢٠٠٦م، ط٦.

٣.إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، دار اليمامة، بيروت، ط٤، ١٤١٥ هـ.

٤.انزياح اللسان العربي، عبدالفتاح الحموز، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٨م.

٥.الانفعالية الابلاغية في البيان العربي، عصام السيوفي، بيروت (د.ت)، دار الحداثة.

٦.الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن، عبد الواحد إسكندر، ك.الآداب، ج البصرة، ١٩٩٥م.

٧.الإيقاع في القرآن، عبدالله محمد ياسين الشمايلة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٩م.

٨.الإيقاع في شعر الحداثة، سلمان محمد علوان، الاسكندرية، العامرية، ط١، ٢٠٠٨م.
٩.البحر المحيط، أبوحيان النحوي، دار الفكر، بيروت، ط٢.
١٠.التحرير والتنوير، ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
١١.التحليل الصوتي وتطبيقه، مهدي عناد، رسالة ماجستير، إشراف د.محمد جواد النوري، فلسطين،٢٠١١م.
١٢.التطور النحوي، برجشتراسر، تعليق: رمضان عبد التواب، دار الرفاعي، الرياض، ١٩٨٢.
١٣.تفسير الخازن، علاء الدين الخازن، ط١، ١٣٧٤ هـ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة.
١٤.تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، المطبعة المصرية سنة ١٩٣٨ م.
١٥.الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد على النحار، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.
١٦.الدر المصون، السمين الحلبي، ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١.
١٧.الدراسات الصوتية عند علماء العربية، د.عبدالحميد الأصيبعي، منشورات كلية الدعوة، طرابس، ١٩٩٢م.
١٨.دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ١٩٩١م.
١٩.دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية: ط٤، ١٩٦٣.
٢٠.دور الكلمة في اللغة، أولمان ستيفن، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، د.ت.ط.
٢١.رسالة أسباب حدوث الحرف، ابن سينا، ت:محمد الطيان، ط٣، مطبوعات المجمع، دمشق، ١٩٨٣.
٢٢.الرعاية لتجويد القرآن، مكي بن أبي طالب، ت: أحمد فرحان، در عمار، عمان، الأردن، ط٢، ١٩٨٤.
٢٣.سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج٢، دمشق، دار القلم، ١٩٩٣م، ط٢.
٢٤.شرح شافية ابن الحاجب، الاستراباذي، ت:محمد الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.
٢٥.علم الأصوات، حسام البهنساوي، متبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤.
٢٦.علم اللغة مقدمة للقارئ، محمود السعران، عالم الفكر، ط٢، ١٩٩٢م.
٢٧.فصول في علم الأصوات، محمد جواد النوري، ب. دار نشر، ١٩٩١م، ط١.
٢٨.القراءات في الأصوات والنحو العربي، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠م.
٢٩.الكتاب، سيبويه، ت: عبدالسلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.
٣٠.الكشاف، الزمخشري، ت:عبدالرزاق عبدالمهدي، إحياء التراث، بيروت، ط١
٣١.لسان العرب، ابن منظور، مج١٥، ص٣١٥، مادة (و ص ف).
٣٢.مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ٢٠٠٠م.
٣٣.المدخل إلى علم اللغة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.
٣٤.المعجم الوسيط، أنيس إبراهيم وآخرون، مادة (ج، ر، س)
٣٥.معاني القرآن، للفراء، د.ت.ط.

Sources:

1.Linguistic sounds, Ibrahim Anis, Anglo-Egyptian Library, Cairo, 1984 AD, 5th edition

2.The Miracle of the Noble Qur'an, Abbas Fadl Hassan, Dar Al-Furqan, Cairo, 2006 AD, 6th edition.
3.The Expression and Explanation of the Qur'an, Mohieddin Darwish, Dar Al-Yamamah, Beirut, 4th edition, 1415.
4.Deviation of the Arabic tongue, Abdel-Fattah Al-Hamuz, Dar Ammar for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 2008.
5.Al-Balaghiya fi Al-Bayan Al-Arabi, Issam Al-Seyoufi, Beirut (D.T), Dar Al-Hadathah.
6.Rhythm: Its Patterns and Connotations in the Language of the Qur'an, Abdel Wahed Iskandar, K. Al-Adab, C. Basra, 1995 AD.
7.Rhythm in the Qur'an, Abdullah Muhammad Yassin Shamayleh, Master's Thesis, University of Jordan, 1999.
8.Rhythm in the Poetry of Modernity, Salman Muhammad Alwan, Alexandria, Amriya, 1nd, 2008 AD.
9.Al-Bahr Al-Moheet, Abu Hayyan Al-Nahawi, Dar Al-Fikr, Beirut, 2nd Edition.
10.Liberation and Enlightenment, Ibn Ashour, Tunisian Publishing House, Tunis, 1984.
11.Phonetic Analysis and its Application, Mahdi Anad, Master Thesis, supervised by Dr. Muhammad Jawad Al-Nouri, Palestine, 2011.
12.Grammatical Development, Bergstrasseer, Commentary: Ramadan Abdel-Tawab, Dar Al-Rifai, Riyadh, 1982.
13.Interpretation of Al-Khazen, Alaa Al-Din Al-Khazen, 1, 1374 AH, Al-Istiqama Press, Cairo.
14.Interpretation of Al-Razi, Fakhr Al-Din Al-Razi, The Egyptian Press, 1938.
15.Characteristics, Ibn Jinni, Tajjeeq Muhammad Ali Al-Nahar, World of Books, Beirut, 3rd edition, 1983 AD.
16.Al-Durr Al-Masoon, Al-Samin Al-Halabi, T: Ahmed Muhammad Al-Kharrat, Dar Al-Qalam, Damascus, 1st Edition.
17.Acoustic Studies of Arab Scholars, Dr. Abdul Hamid Al Osaibi, Publications of the College of Da`wah, Tripoli, 1992.
18.Study of the linguistic sound, Ahmed Mukhtar Omar, World of Books, 1991 AD.
19.Semantics, Ibrahim Anis, Anglo-Egyptian Library: 4th Edition, 1963.
20.The role of the word in language, Stephen Ullman, translated by: Kamal Bishr, Youth Library, Cairo, D.T.T.
21.The Message of the Reasons for the Occurrence of the Letter, Ibn Sina, T: Muhammad Al-Tayan, 3rd Edition, Al-Majma` Publications, Damascus, 1983.
22.Care for the Tajweed of the Qur'an, Makki bin Abi Talib, T: Ahmed Farhan, Dar Ammar, Amman, Jordan, 2, 1984.
23.The Secret of the Syntax of Syntax, Ibn Jani, Volume 2, Damascus, Dar Al-Qalam, 1993 AD, 2nd Editio.
24.Explanation of Shafia Ibn al-Hajeb, al-Istrabadi, T: Muhammad al-Hassan and others, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 1982.
25.Phonology, Hossam El Bahnasawy, Matbaba of Religious Culture, Cairo, 1st Edition, 2004.
26.Linguistics: An Introduction to the Reader, Mahmoud Al-Saran, World of Thought, 2nd Edition, 1992 AD.

27.Chapters in Phonology, Muhammad Jawad Al-Nouri, b. Publishing House, 1991 AD, 1st Edition.
28.Readings in Voices and Arabic Grammar, Abdel-Sabour Shaheen, Al-Resala Foundation, Beirut, 1980.
29.The book, Sibawayh, T: Abdel Salam Haroun, 1st edition, Dar Al-Jeel, Beirut, 1991.
30.: Abd al-Razzaq Abd al-Mahdi, The Revival of the Traces, Beirut, 1st ed.
31.Lisan Al Arab, Ibn Manzur, Vol. 15, p. 315, article (and ph).
32.Principles in Linguistics, Khawla Taleb Al-Ibrahimi, Dar Al-Kasbah Publishing, Algeria, 2000 AD.
33.Introduction to Linguistics, Ramadan Abdel-Tawab, Al-Khanji Library, Cairo, 3rd edition, 1997.
34.The intermediate dictionary, Anis Ibrahim and others, article (c, r, o).
35.The Meanings of the Qur'an, for Al-Farra, d.T.T.